

البلاغة القرآنية في وصف أهوال يوم القيامة

الاسم: عنود أحمد حليس العنزي

محاضرة في جامعة الحدود الشمالية.

كلية التربية والآداب _ قسم اللغة العربية.

الإيميل: al-3noud2006@hotmail.com

ملخص:

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان " البلاغة القرآنية في وصف أهوال يوم القيامة " هادفة إلى الوقوف على بلاغة النص القرآني وأسراره في وصف أهوال يوم القيامة ، ومما دفعنا إلى هذا الموضوع إن القرآن الكريم هو الميدان الخصب للبحث عن قوة نظمه وبيانه وبراعة استهلاله ، وقد تعاملت مع الدراسة من خلال استخدام المنهج البياني البلاغي الذي يكشف عن جماليات الصور الفنية ،والمسلمات البيانية التي يتسم بها القرآن الكريم بنسيجه المحكم وأسلوبه البديع .

لذا قسمت الدراسة إلى مقدمة ومطلبين وهما : المطلب الأول وهو نظري بعنوان " التعريف بيوم القيامة " ، والمطلب الثاني الموسوم بـ " الأساليب البلاغية والبيانية في آيات يوم القيامة".

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي : بروز التشبيه في التعبير القرآني عن أهوال يوم القيامة ، فقد أبرزت الصورة الفنية قدرتها على لفت انتباه المتلقي إلى المعاني المعروضة أمامه في آيات يوم القيامة وترسيخها في ذهنه ، تنوعت أساليب القرآن الكريم في

التعبير القرآني عن أهوال يوم القيامة ، فهو لا يعتمد على أسلوب واحد ، بل تنوعت أساليب القرآن البلاغية والبيانية ومنها : التشبيه ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية، أسهمت قدرة القرآن الكريم البلاغية والبيانية في توضيح الهدف والغاية من الآيات التي نقلت لنا أهوال يوم القيامة بجميع تفصيلاته وظروفه ؛ هي دفع المتلقي إلى التفكير والاتعاظ ووجوب العمل بمرضاة الله وتجنب غضبه وسخطه.

مقدمة .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم وبعد :

إن القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي تحدى به الأنس والجن على أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عن ذلك عجزاً بيئاً ، فالقرآن الكريم معجزة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي عجز الخلق عن الإتيان بمثله ، وهي المعجزة الخالدة إلى قيام الساعة .

وقد أحاط الله سبحانه وتعالى بوجوه إعجاز القرآن الكريم ومن هذه الوجوه : الإعجاز اللغوي والبلاغي ، الإعجاز في الإخبار بالمغيبات ، الإعجاز العلمي ، الإعجاز التشريعي .

ويعد الإعجاز البلاغي هو أحد هذه الوجوه ، فالقرآن الكريم معجز في ألفاظه وأسلوبه وبيانه ونظمه ، فحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد سرّاً من أسرار الإعجاز البلاغي ، فقد حث القرآن الكريم على تأمل آي القرآن الكريم وتدبره ، لا سيما في الآيات التي صورت أهوال يوم القيامة .

وهناك الكثير من الآيات التي جسدت لنا شدة أهوال الساعة وعظم زلزلتها في عدة مواضع ومنها قوله تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها) ، وقوله تعالى : (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) وقوله تعالى : (إذا رجبت الأرض رجا وبست الجبال بسا) ، وقوله تعالى : (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة) وقوله تعالى : (ثقلت السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظم هول الساعة.^١

لذا فإن هذه الدراسة تنصب على النواحي البلاغية بحيث تبرز مشاهد يوم القيامة المفزعة من النواحي الفنية والجمالية ، إذ تركز الدراسة على المشاهد الطبيعية التي ستحدث انقلابات كونية يكون لها دور بارز في إحداث الفوضى الكونية، بأسلوب بلاغي له تأثير واضح في الترغيب والترهيب من يوم القيامة وتقريب الصورة للأذهان بأسلوب فني جمالي بحيث تتجلى اللمسات البلاغية والبيانية وتظهر إعجاز القرآن الكريم البلاغي في هذه المشاهد تحديداً .

^١ ينظر : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ط٢ ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ ، (٥ / ٦-٥) .

المطلب الأول : التعريف بيوم القيامة .

ورد اسم القيامة في سبعين آية من آيات الكتاب ومن قوله تعالى : (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه)^١، وقوله تعالى : (إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة)^٢.

هو اليوم الذي ينتهي به العالم ، ويتبعه البعث والنشور والجزاء والحساب ، وقد بلغت أسماء يوم القيامة ما يقارب خمسين اسمًا ، ولكل اسم دلالات خاصة متعددة ومتنوعة ومن هذه الأسماء :
ورد في القرآن الكريم أسماء كثيرة ليوم القيامة منها : اليوم الآخر ، اليوم الحق ، اليوم الموعود ، يوم الدين ، يوم البعث ، يوم التلاق ، يوم الحساب ، يوم الفصل ، يوم التغابن ، اليوم القمطرير ، اليوم المشهود ، يوم الانشقاق ، يوم المساق ، يوم العرض ، يوم الراجعة .

ولقد تعددت أسماء يوم القيامة وهو دليل على عظم شأن ذلك اليوم ، فكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ، فالقيامة عظم أمرها وكثرت أهوالها ، سماها الله سبحانه وتعالى بالعديد

^١سورة النساء ، الآية (٨٧).

^٢سورة الشورى ، الآية (٤٥) .

من الأسماء في كتابه ووصفها بأوصاف كثيرة ومتنوعة ، ، فالشيء إذا عظم خطره كثرت أسماءه ، وكما قال الإمام علي - كرم الله وجهه - : كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى^١ .

المطلب الثاني : الأساليب البلاغية والبيانية في آيات يوم القيامة :

تشتمل أهوال يوم القيامة على الأرض والسماء والحيوان والإنسان ، إذ تكون المشاهد الطبيعية هي في المقدمة من أهوال هذا اليوم العظيم.

ومن تلك الأهوال انشقاق السماء في قوله تعالى : (إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت)^٢

صورة انشقاق السماء يوم القيامة إذ يختل تركيبها ويؤدي إلى إلقاء الرعب والخوف والتعجب في نفوس الناظرين إليها ، والصورة مليئة بالحركة والصوت ، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التقديم البلاغي إذ جاء لفظ (السماء) قبل الفعل (انشقت) بهدف تنبيه السامعين وإثارتهم لهذا الحدث العظيم .

شبه حال السماء يوم القيامة وكأنها ورق يتمزق فلا تماسك ولا صلابة فيها ، فالسماء ينفطر يوم القيامة فتصبح واهية وهو كناية عن الضعف والتفرق في يوم القيامة .

^١ محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (١٣٩٣هـ) ، تنمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، خرج آياته وأحاديثه : محمد عبد العزيز الخالدي ، التنمة من عمل تلميذه : عطية محمد سالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، (٢٥١ / ٩) .

^٢ سورة الانشقاق ، الآية (٢-١) .

ولفظ (أذنت) ويقصد بها أنها أطاعت الله سبحانه وتعالى في الانشقاق وحق لها أن تطيع وتتقاد وتسمع وهو تأكيد للربوبية وإشارة إلى سعة التدبير الإلهي .

ومن الصور الحركية للسماء في قوله تعالى : (يوم تمور السماء مورا)^١ أي أن السماء الثابتة المبنية بقوة تتحول يوم القيامة إلى مشهد رهيب وتبدأ بالتقلب والاضطراب كما تضطرب أمواج البحر ، والصورة حسية وفيها جذب وإثارة للسامعين ، فيتخيلون كيفية اضطراب السماء وتحركها حركة شديدة ، إذ شبه حركة السماء واضطرابها بالأمواج المتلاطمة في البحر .

أيضا صورة إزالة السماء ونزعها في قوله تعالى : (وإذا السماء كُشِطت)^٢

" إذا أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد من الشاة "صورة السماء وهي صورة حركية وكأنها شيء ينزع عنه الغطاء ، وهي صورة فيها إثارة للسامعين أيضا تحدث الألم مجرد التفكير بهول هذه اللحظة وهو مشهد ينزع الأفئدة .

كما في سورة الواقعة التصوير الفني في قوله تعالى : (إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا)^٤.

من أنواع البلاغة التي وردت في سورة الواقعة جناس الاشتقاق في قوله تعالى (إذا وقعت الواقعة) ، وجناس الاشتقاق هو : أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة^١

^١ سورة الطور ، الآية (٩) .

^٢ سورة التكويد ، الآية (١١) .

^٣ صفوة التفاسير ، (٣ / ٥٢٤) .

^٤ سورة الواقعة ، الآية (١ - ٦) .

المجاز : وهو من أنواع البيان وهو دلالة اللفظ على غير موضع له في أصل اللغة ، فإذا علل باللفظ ما يوحيه أصل المعنى -في اللغة - سمي مجازا ، لأن اللفظ تجاوز معناه الموضوع له إلى معنى آخر ، لم يرد في المعنى الأصلي بل استعمل في معنى فرعي لا يعد من حقيقته .^٢

المجاز العقلي : هو إسناد الفعل أو ما في معناه من اسم فاعل ، أو اسم مفعول أو مصدر إلى غير ما هو له في الظاهر من المتكلم ، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له ، وأشهر علاقات المجاز العقلي : الإسناد إلى الزمان ، الإسناد إلى المكان ، الإسناد إلى السبب ، الإسناد إلى المصدر .^٣

جاء المجاز العقلي في قوله تعالى : (خافضة رافعة) في الآية مجاز عقلي لأن الواقعة إنما تخفض وترفع بما يقع وما يكون فيها من أمور وأحوال فترفع من أعد لها من عمل وتخفض من لم ينتبه لها ، وينتهي لذلك اليوم المهول الذي لا ينفع مال ولا بنون لأنها تنزل أشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضها وترفع بعضها.^٤

والخفض والرفع قد يكون بالعدل والرفع والخفض يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والمهانة ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامه توسعا ومجازا على عادة العرب في إضافتها الفعل

^١شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص ٣٣٤ .

^٢طالب محمد الزوبعي ، ناصر حلاوي ، البلاغة العربية البيان والبديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، د.ت ، ص ٦٤ .

^٣أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني البديع تحقيق : يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية بيروت د.ت ، ص : ٢٥٨ .

^٤أبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، (٥٢/٤) .

إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل ، والحقيقة إنما هو الله وحده ، فرفع أولياءه
في أعلى الدرجات وخفض أعداءه في أسفل الدرجات .^١
ومن علم البديع :

إطباق : " الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة " ^٢، أو "هو الجمع بين الشيء
وضده ، كالليل والنهار ، والسواد والبياض " ^٣

ورد الطباق في قوله تعالى (خافضة رافعة) بين الكلمتين خافضة ورافعة وهما ضدان .

وفي سورة الزلزلة قال تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال
الإنسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها) ^٤

الجناس : في قل تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) الجناس بين لفظتي (زلزلت زلزلا) جناس
اشتقاق : أن تجتمع اللفظتان في أصل الاشتقاق يسمى المقتضب .^٥

قد ساهم الجناس في إبراز المعنى وجسد المعنى وأظهره بشكل دقيق وعميق ، إذ رسمت الكلمتان
(زلزلت وزلزالها صورة الأرض وهي تزلزل بعنف وقوة تبهت له العقول وتهلع القلوب من هولها .

^١ الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ،
بيروت ، ١٩٦٦م ، (١٧/١٩٦) .

^٢ عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، (٤/٤) .

^٣ د. عبد الرزاق زايد ، علم البديع نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧ ،
ص ٣٣ ، مناصر الدين محمد بن قرقماش ، زهر الربيع في شواهد البديع ، تحقيق : مهد أسعد عرار ، دار الكتب العلمية
، بيروت ، ١٩٧١م ، ص ١٢٩ .

^٤ سورة الزلزلة ، الآية (١ - ٥) .

^٥ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي (ت ٦٢٦) مفتاح العلم تحقيق : أكرم عثمان يسف مطبعة
الرسالة بغداد ط ٢ / ١٤٠٢م ١٩٩٦م ص ٦٧١ .

الاستعارة : " نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى ، وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه " ^١ .

وجاءت الاستعارة في قوله تعالى : (يومئذ تحدث أخبارها) استعيرت كلمة (تحدث) وحذف المشبه به مع وجود المشبه ، وهو الضمير (ها) العائد على الإنسان ، فالاستعارة مكنية وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ^٢ .

كما أسند القرآن الكريم التحديث إلى الأرض وهو لا يكون إلا للإنسان ، لأنه من صفاته وبذلك منح الأرض القدرة على التكلم بأمر الله سبحانه وتعالى ، وحديثها ما كان يقع عليها من الأفعال التي يقوم بها الإنسان وهي تحمله على ظهرها ، وبذلك يكون التحديث على هذا الرأي حقيقي ^٣ .

المجاز العقلي في قوله تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) أسند الفعل (أخرجت) إلى غير فاعله الحقيقي ، لأن الأرض لا تخرج الأثقال ، وإنما يخرجها الله جل وعلا ^٤ .

وقوله تعالى : (والنازعات غرقا * والناشطات نشطا * والسابحات سبحا * فالسابقات سبقا * فالمديرات أمرا) ^١ .

^١ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، الصناعتين : الكتابة والشعر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦٨ .

^٢ ينظر : أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع) ، دار الآفاق العربية ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ص ٣٢٦ .

^٣ ينظر : أبو حيان أنير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، البحر المحيط ، مكتب مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، د.ت ، (٥٠٠/٨) .

^٤ ينظر : ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤) ، بديع القرآن ، تحقيق : حفني محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر ، بالقاهرة ، ط ١ ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م ، ص ١٧٦ .

الإيجاز بالحذف في الآيات السابقة فالقسم يدل على ما سيكون يوم القيامة وتقديره : لتبعثن يوم القيامة ولتحاسبين ، وهو تمهيد لأعظم من هذا وهي تسلمهم في إعداد الحس لدى المتلقي ما يروعه ويهوله من أمر الراجعة والرادفة والطامة الكبرى في النهاية .^٢

وفي قوله تعالى : (يوم ترجف الراجعة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة * أبصارها خاشعة)^٣

بلاغة النظم في التعبير القرآني : فقد استعمل القرآن الكريم اللفظ الجامع (الراجعة - الرادفة) وهي النفخة الأولى والثانية أي نفخة الموت لكل شيء ونفخ الحياة والقيام ، كما استعمل الفعل (ترجف) مع الاسم (الراجعة) مع التقابل السياقي (الرادفة) لأن الردف يعني التتابع ، والرجف الاضطراب الشديد يقال : رجفت الأرض والبحر "^٤

ومن أسرار التعبير القرآني كذلك المجاز في الآية السابقة فقد تضمنت معنى الوعيد ، فإذا كانت الراجعة بهذا المعنى المهيب فكيف إذا رجفت ؟ والردف يعني المتابعة وقد سبق المعنى اللفظي بقوله تتبعها لتأكيد المعنى بيانا لهول ما بعدها وهو ما عدّه البلاغيون من المجاز المرسل وذلك لأن " سبب الرجف أو التجوز في الطرف بجعل سبب الرجف راجفا"^٥

^١ سورة النازعات ، الآية (٥-١) .

^٢ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، (٨ / ٤٤٠)

^٣ سورة النازعات ، الآية (٦-٩) .

^٤ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢) ، المفردات ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت ، ص ١٨٩ .

^٥ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، (٣٠ / ٣١٧) .

التصوير البياني : وقد برز عندما صور القرآن الكريم ما يظهر على الإنسان من هول ذلك اليوم وهو ما يتعلق بالقلب والبصر فالقلوب الواجفة هي الخائفة المضطربة وتكون الأبصار ذليلة ، وجاء تعبير (خشوع) للتهكم بهم فقد كانوا منكبين جاحدين للآيات والمعجزات القرآنية وفي هذا يقول ابن كثير : " أي أبصار أصحابها وإنما أضيف إليها للملابسة أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال"^١.

وفي قوله تعالى : (القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفرش المبتوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش)^٢.

تحمل سورة القارعة أهوالاً مرعبة وما يزيد من مشاهد الرعب فيها كلمة القارعة التي تدل على " القيامة نفسها لأنها تفرع القلوب بهولها"^٣.

التشبيه : في قوله تعالى : (يوم يكون الناس كالفرش المبتوث) وقد شبه الناس في هذا اليوم العظيم بالفرش ويرى الزمخشري أن السبب في لك : " شبههم بالفرش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار . قال جرير : إن الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي

^١ الإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، (٤) / (٤٦٨) .

^٢ سورة القارعة ، الآية (١ - ٥) .

^٣ أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٥٤) ، تفسيرالبحر المحيط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢ ، ١٩٨٣ ، (٨ / ٥٠٦) .

وفي أمثالهم : أضعف من فراشة وأذل وأجهل ، وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره" ^١.

ويرى المراغي بأن الفراش : " هو الحشرة التي نراها تتراعى على ضوء السراج ليلاً ، وبها يضرب المثل في الجهل بالعاقبة ، والمبثوث : المتفرق المنتشر ، تقول بثنت الشيء أي فرقته ، أي أن الناس من هول ذلك الموقف يكونون منتشرين حيارى هائمين على وجوههم لا يدرون ماذا يفعلون ، ولا ماذا يراد بهم ، كالفراش الذي يتجه إلى غير جهة واحدة ، بل تذهب كل فراشة إلى جهة غير ما تذهب إليها الأخرى" ^٢

وقد جاء هذا التشبيه ليدل على صفات الناس يوم القيامة وحالهم من الكثرة والضعف والتطاير ودليله وهي تكشف عن حالة الذعر والذهول التي تعتري البشر يوم القيامة وتعكس هول الموقف وشدته .

كذلك في قوله تعالى : (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) يرى الزمخشري " شبه الجبال بالعهن ، وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان ، والمنفوش منه لتفرق أجزائها " ^٣ . ويوضح السبب في هذا التشبيه فيقول : " لأن الجبال جدد بيض وحممر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، فإذا بُست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الرياح " ^٤ .

^١ الكشاف ، (٤ / ٧٩٦) .

^٢ أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ، (٣٠ / ٢٢٦) .

^٣ جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨)، الكشاف (حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، تحقيق :

عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠١م ، (٤ / ٧٩٦) .

^٤ الكشاف ، (٤ / ٦١٢) .

وهذا التشبيه لحال الجبال يعكس حالة من أحوال الجبال يوم القيامة ، ويرى لاشين بأن وجه الشبه في هذه الصورة يشير إلى رسمها في الأذهان كما يراها الحس وتحس بها النفس ، (فالعهن المنفوش) يصور أمامك منظر الجبال وقد صارت هشة تحمل إلى نفسك معنى الخفة واللين.^١

ويرى الرازي بأن ضم الجبال إلى الإنسان في قوله تعالى : (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش) إلى " بيان تأثير القرعة في الجبال وهو أنها صارت كالعهن المنفوش ، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها"^٢ .

ويعد تشبيه الناس بالفراش المنتشر من التشبيه المجمل المرسل فقد ذكرت أداة التشبيه (الكاف) وحذف وجه الشبه ، وسبب التشبيه وصف الهوان الي يلحق بالناس والحيرة في الأمر والاضطراب ، وكذلك تشبيه الجبال بالعهن المنفوش هو من التشبيه المرسل المجمل .

المجاز في قوله تعالى : (القارعة) وهي من القرع الضرب^٣ ، و "الاستعمال مجازي للتعبير عن التأثير النفسي المأساوي لتأثير الضرب فكل ضرب هو قارعة ، كيوم القيامة وجهنم ، وبلاء الدنيا من مرض أو فقر ، فهو إذن تعبير شامل لكل بلاء"^٤، فلفظ (القارعة) لفظ مجازي ويعبر بشكل شامل عن الضرب وهو من باب توسع المعنى .

^١ عبد الفتاح لاشين ، البيان في أساليب القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢م ، ص ٤١ .

^٢ فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي (ت : ٦٠٤هـ) ، التفسير الكبير وحقائق الغيب ، تقديم : خليل محيي الدين الميس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، مجلد ١٦ ، (٣٢/٧٣) .

^٣ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت٧١١) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، مجلد ١٢ ، ص ٧٦-٧٧ .

^٤ التفسير الكبير وحقائق الغيب ، (٣٢/٢٦٥) .

قال تعالى : (فإذا النجوم طمست * وإذا السماء فرجت * وإذا الجبال نسفت * وإذا الرسل أقتت * لأي يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل)^١ .

قال تعالى : (إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا النفوس زوجت * وإذا المؤودة سلئت)^٢ .

جاء أسلوب سورة التكوير في عرض المشاهد المتعلقة بيوم القيامة " إن الإيقاع العام للسورة أشبه بحركة جائحة ، تتطلق من عقالها ، فتقلب كل شيء وتنتثر كل شيء وتهيج الساكن ، وترتع الآمن ، وتذهب بكل مألوف وتبدل كل معهود ، وتهز النفس البشرية هزاً عنيفاً طويلاً ، يخلعها من كل ما اعتادت أن تسكن إليه وتنتشبت به"^٣ .

إن الشمس التي تشرق في كل صباح فتغمر الأرض بضوئها ونورها ، وتمد الخلائق بالطاقة التي لا غنى عنها للحياة ، فإن ضوئها يذهب في قوله تعالى : (إذا الشمس كورت) ومعنى كورت " جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها"^٤ ، كذلك النجوم المنتثرة في السماء فإن عقدها ينفطر فتتساقط من مواضعها وانتشرت ، وفي قوله تعالى : (وإذا النجوم انكدرت) ، والانكدار هو تغير لون النجوم وهي صورة كناية عن ذهاب ضوئها.

^١ سورة الأحقاف ، الآية (٨ - ١٤) .

^٢ سورة التكوير ، الآية (١-٨) .

^٣ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، (٦/٣٨٣٦) .

^٤ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤/٥٦٤) .

وفي قوله تعالى : (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس)^١ .

التشبيه : شبه حال الدنيا وسرعة زوالها بعد أن كانت مصدر البهجة للناس بحال نبات الأرض الذي يكون نصرًا ثم يؤول إلى الحصاد ، وهي تشير إلى حتمية انقضاء الأشياء في زمن ما .
الاستعارة : في قوله تعالى : (أخذت الأرض زخرفها) استعارة مكنية، شبه الأرض بالمرأة التي تتزين بأجمل الزينة من حلي ومجوهرات وثياب جميلة .

جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزينة"^٢ .

الصورة نابضة بأشكال وألوان الحياة وقد عكست صورة فنية نابضة بالحركة وهي من الصور المحسوسة التي تزيدها قوة وتأثيرًا في النفس .

وقوله تعالى : (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة)^٣
حملت الأرض والجبال أي " أزيلت من أماكنها وأبعدت إلى مداراتها ، فشبهت هذه الحالة بحمل الحامل شيئًا ليلقيه على الأرض"^٤ وهو من مشاهد يوم القيامة المروعة والتي تتسم بالهول والرعب والفرع .

^١ سورة يونس ، الآية (٢٤) .

^٢ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مجلد (٣) ، ص ١٣٣٨ - ١٣٣٩ .

^٣ سورة الحاقة ، الآية (١٣ - ١٥) .

^٤ محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م ، (٣٠ / ١٢٥) .

وقوله تعالى : (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا)^١

صورة الجبال وهي صلبة قاسية مثل كتبان الرمال فتتحول إلى رمل ناعم نتيجة الرجفة التي تصيب الأرض وهي من الصور التي يصعب على الخيال تصورها وفهمها كما جاءت في الآية وذلك لشدة هول يوم القيامة .

قال تعالى : (سيرت الجبال فكانت سرابا)^٢

يقول الزمخشري : " يعني أنها تصير شيئاً كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها "٣، ويرى البيضاوي : "مثل السراب إذ ترى على صورة الجبال ولم تبقَ على حقيقتها ، لتفت أجزائها وانبثاثها"^٤

وفي قوله تعالى : (ويوم تُسَير الجبال وترى الأرض بارزة)^٥

" وترى الأرض ظاهرة للعيان ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان ، فقد قلعت جبالها وهدم بينانها فهي بارزة ظاهرة "^٦

^١ سورة المزل ، الآية (١٤).

^٢ سورة النبا ، الآية (٢٠).

^٣ الزمخشري ، الكشاف ، (٤ / ٦٨٨) .

^٤ ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٩١هـ) ، أنوارالتنزيل وأسرار التأويل المعروف ب تفسير البيضاوي ، إعداد : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ ، (٢٧٨/٥)

^٥ سورة الكهف ، الآية (٤٧) .

^٦ صفوة التفاسير ، (٢ / ١٩٤) .

وهو مشهد من مشاهد يوم القيامة المهيبة ، ولهول هذا اليوم العظيم تساق الجبال وتتحرك من أماكنها ، وبعد إزالة الجبال ونسفها تتبدى الأرض وتظهر لا جبال فيها ولا وديان ، فالصورة التعبيرية هي صورة حركية فالجبال تسير وتتحرك أما الأرض فتتعى من كل ما عليها حتى تبدو وكأنها فارغة من كل شيء ، وهو مشهد يصعب تخيله واستيعابه .

لقد رسم القرآن الكريم صورة أخرى يجسد فيها إزالة الجبال عن مواضعها وتحريكها من أماكنها، وقد اعتمد التشبيه في هذه الصورة على ظاهرة مألوفة للإنسان ، ظاهرة متكررة يراها في حياته " وإذا كان المسلم لا ينتمي إلى بيئة صحراوية فلا يعفيه ذلك من السير في الأرض والبحث في أعماق ذلك الكون وأسراره ، ولهذا تكرر ورود السير في قوله تعالى : (أفلم يسيروا في الأرض) ، وقوله : (قل سيروا في الأرض) أكثر من اثنتي عشرة مرة في كتاب الله "١ .

وفي هذه الصورة توضيح الانقلابات الكونية التي تثير الرهبة والخوف في نفس الإنسان وما يدفعه إلى العمل والاجتهاد قبل انتهاء فترة الاختبار ، وقد جاءت الصورة مكثفة بحيث تجاوزت حد تشبيه الجبل بالسراب، وقد شحنت بدلالات حركية من خلال حركة الجبال وحركة السراب .

وفي قوله تعالى : (وأذنت إلى ربها وحقت)٢ .

الاستعارة في مشهد استماع السماء وانقيادها لأمر الله سبحانه وتعالى ، واستعير لفظ (أذنت) وفي الحقيقة السماء لا تسمع حقيقة ، وليس لديها حاسة السمع " فقد شبهت السماء في انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطواع للأمر "١ .

١ محمد علي أبو حمدة ، البهيج في أساليب البيان ، دار عمار ، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص ٨٨-٨٩ .

٢ سورة الانشقاق ، الآية (٢) .

وفي قوله تعالى : (وألقن ما فيها وتخلت)^٢.

الاستعارة : صورة الأرض التي تخلصت من كل ما في جوفها حتى باتت خالية ، " شبهت حال الأرض بحال المرأة الحامل تلقي ما في بطنها عند الشدة والهول " ^٣ والصورة تعكس استسلام الأرض وخشوعها بشكل تام وكامل إلى الله سبحانه وتعالى .

خاتمة :

نستخلص من هذه الدراسة أبرز النتائج وهي :

^١ محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم ، دار اليمامة ، دمشق ، بيروت ، ط٩ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م (٢٦٢/٨) .

^٢ سورة الانشقاق ، الآية (٤) .

^٣ محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم ، (٢٦٢/٨) .

- بروز التشبيه في التعبير القرآني عن أهوال يوم القيامة ، فقد أبرزت الصورة الفنية قدرتها على لفت انتباه المتلقي إلى المعاني المعروضة أمامه في آيات يوم القيامة وترسيخها في ذهنه .
- تنوعت أساليب القرآن الكريم في التعبير القرآني عن أهوال يوم القيامة ، فهو لا يعتمد على أسلوب واحد ، بل تنوعت أساليب القرآن البلاغية والبيانية ومنها : التشبيه ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية .
- أسهمت قدرة القرآن الكريم البلاغية والبيانية في توضيح الهدف والغاية من الآيات التي نقلت لنا أهوال يوم القيامة بجميع تفصيلاته وظروفه ، هي دفع المتلقي إلى التفكير والاتعاظ ووجوب العمل بمرضاة الله وتجنب غضبه وسخطه .
- الدقة والواقعية في الآيات التي تصف أهوال يوم القيامة وأسلوب صياغتها بطريقة فريدة يجعل لها وقع في الأنفس مؤثر وفعال .
- كانت الصيغ التشبيهية في تصوير المشاهد الطبيعية من أبلغ وسائل التعبير البلاغي ، فقد أكسبت النص روعة وتأثيراً عظيماً، وتقريباً للصور في الأذهان .

- ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤) ، بديع القرآن ، تحقيق : حفني محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر ، بالفجالة ، ط ١ ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢) ، المفردات ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .
- أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، البحر المحيط ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض ، د.ت .
- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٥٤) ، تفسير البحر المحيط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣م .
- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي (ت ٦٢٦) مفتاح العلم تحقيق : أكرم عثمان يسف مطبعة الرسالة بغداد ط ٢ / ١٤٠٢ / ١٩٩٦م .
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، الصناعتين : الكتابة والشعر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦م .
- أبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني البديع تحقيق : يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية بيروت د.ت .
- أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

- أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ، دار الآفاق العربية ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / - ٢٠٠٠ م.
- الإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٣ م.
- الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨) ، الكشاف (حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠١ م .
- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت ٧١١) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ .
- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١٧ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٧ ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ.
- طالب محمد الزوبعي ، ناصر حلاوي ، البلاغة العربية البيان والبديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، د.ت .
- عبد الرزاق زايد ، علم البديع نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧م .
- عبد الفتاح لاشين ، البيان في أساليب القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢م.
- عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .
- فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي (ت : ٦٠٤هـ) ، التفسير الكبير وحقائق الغيب ، تقديم : خييل محيي الدين الميس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م .
- محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (١٣٩٣هـ) ، تنمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، خرج آياته وأحاديثه : محمد عبد العزيز الخالدي ، التنمة من عمل تلميذه : عطية محمد سالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م .
- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ط٢ ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م .
- محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م .

- محمد علي أبو حمدة ، البهيج في أساليب البيان ، دار عمار ، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٩ م .
- محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم ، دار اليمامة ، دمشق ، بيروت ، ط٩ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- مناصر الدين محمد بن قرقماش ، زهر الربيع في شواهد البديع ، تحقيق : مهد أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٩١هـ) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف ب تفسير البيضاوي ، إعداد : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ م .